ولاينه لا تصح فنزع ، واقيم الملك العادل وقيل ان العادل اخذها من الافضل علي بن السلطان صلاح الدين وكان الافضل غلب عليها وانتزعها من المنصور وارسل العادل الي الخليفة نطلب التقليد بمصر والشام فارسله اليه مع الشهاب السهروردي فكان يصيف بالشام ويشتي بمصر ويتنقل في البلاد الي ان مات يوم الجمعه سابع جمادي الاخره سنة خمس عشرة وستمايه ومن قول ابن عنين فيه

ان سلطاننا الذي نرتجيه ، واسع المال ضيق الانفاق

هو سيف كما يقال ولكن ، قاطع الرسوم والارزاق

والعادل اول من سكن قلعة الجبل بمصر من الملوك سكنها في سنة اربعين وستمايه ونقل اليها اولاد العاضد واقاربه في بيت في صورة حبس ، وكان ابنه الملك الكامل ناصر الدين ابو المعالي محمد ينوب عنه بمصر في ايام غيبته فاستقل بها بعد وفاته ، وفي هذه السنة نزلت الفرنج علي دمياط واخذوا برج السلسلة وكان حصينا منيعا وهو قفل بلاد مصر وصفته انه في وسط جزيرة في النيل عند انتهايه الي البحر ومن هذا البرج الي دمياط وهي علي شاطي البحر وحافة النيل سلسلة ومنه الي الجانب الاخر وعليه الجسر سلسلة اخري ليمتنع دخول المراكب من البحر الي النيل فلا تتمكن من البلاد فلما ملكت الفرنج هذا البرج شق ذلك علي المسلمين بديار مصر وغيرها ووصل الخبر الي الملك العادل وهو بمرج الصفر فتاوه تاوها شديدا ودق بيده علي صدره اسفا وحزنا ومرض من ساعته مرض الموت ثم في سنة ٦١٦ استحوذ الفرنج علي دمياط وجعلوا الجامع كنيسة لهم وبعثوا بخبره وبالربعات وروس القتلي الي الجزاير فانا لله وانا اليه راجعون واستمرت بايديهم الي سنة ٦١٧ وكان الكامل عرض عليهم ان يرد اليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد السواحل ويتركوا دمياط فامتنعوا من ذلك فقدر الله انه ضاقت عليهم الاقوات فقدمت عليهم مراكب فيها ميرة واخذها الاصطول البحري وارسلت المياه علي اراضي دمياط من كل ناحية فلم يمكنهم بعد ذلك ان يتصرفوا في انفسهم وحصرهم المسلمون من الجهة الاخري حتي اضطروهم الي اضيق الاماكن فعند ذلك انابوا الي المصالحة بلا معاوضة فكان يوما مشهودا ووقع الصلح علي ما اراد الكامل ومد سماطا عظيما وقام راجح الحلي فانشد

هنيئا

هنيئا فان السعد راح مخلدا ، وقد انجز الرحمن بالنصر موعدا

حبانا اله الخلق فتحا بدا لنا ، مبينا وانعاما وعزا موبدا

الي ان قال

اعباد عيسي ان عيسي وحزبه ، وموسي جميعا يخدمون محمدا

ذكا حاضرا جنبنذا الملك المعظم عيسي والملك الاشرف موسي بن الملك عادل قال ابو شامه وبلغني انه لما انشد هذا البيت اشار الي الملك المعظم عيسي والاشرف موسي والكامل محمد فكان ذلك من احسن شي اتفق وتراجعت الفرنج الي عكا وغيرها من البلدان قال الحافظ شرف الدين الدمياطي في معجمه انشدنا ابو زكريا يحيي بن يوسف الصرصري لنفسه ببغداد وقد ورد كتاب من دبار مصر الي الديوان بانتصار المسلمين علي الروم وفتح ثغر دمياط

اتانا كتاب فيه نسخة نصرة ، الحض معناها لذي فطن جلد

يقول ابن ايوب المعظم حامدا ، لرب السما الواحد الصمد الفرد

امرنا بحمد الله جل ثناوه ، وعزا ري دمرنس في طالع السعد

تركنا من الاعلاج بالسيف طعنا ، بلا ثني لغا للقساعم والاسد

ومنهم الوف اربعين باسرنا ، فكم ملك في قبضنا صار كالعبد

ودمياط عادت مثل مابدات لنا ، ويا ما ملكناها فيا لك من جد

ونحن علي ان نملك السيف كله ، علي ثقة ممن له خالص الحمد

الا يا ابن ايوب لقد نلت غاية ، من النصر ضاهت ما بلغت من المجد

قهرت فريخ الروم قهرا ساعة ، بقسم زل الرعب في الترك لي السعد

وما ملت اسباب العلاج كلا له ، ولم يا نك المجد الموثل من بعد

ولكن ورثت الملك والفضل عن اب ، جليل وعن عم نبيل وعن جد

لجات الي ركن شديد ومعقل ، منيع وكنز جامع جوهر المجد

الي فاتح باب الرشاد بعثه ، وخاتم ميثاق النبوه والعهد

الي الشافعي المنجي الوجيه محمد ، فاحسنت في صدق التوجه والقصد

فمهما تجد من كيد ضد مضاغن ، بوجه به تظفر وتنصر علي الضد

فلا صد عن عز سوابق مجدكم ، كلال ولا غالي الكلول نسا الحد

الي ان تذيق الروم في عقر دارهم ، دعا فا وتشفي المومنين حبا الشهد

ولما تولي المستنصر الخلافه ارسل الي الكامل محيي الدين يوسف ابن الشيخ ابي الفرج بن الجوزي ومعه كتاب عظيم فيه تقليده الملك وفيه اوامر كثيرة مليحة من انشا الوزير نصير الدين احمد بن الناقد

Copyright © King Saud University